عصر الخلفاء الراشدين

كان المجتمع العربي في الجاهلية مجتمعاً قبليّاً في البوادي والحواضر تحكمه القوانين والأعراف التي تضمن للقبيلة بقاءها، ولذلك شاعت بينهم العصبية بالمعنى الذي يحمله المثل الجاهلي «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً."

وقف الإسلام منها موقفاً معادياً، ودعا إلى تركها، وذم الحميَّة القائمة على أساس قبلي، فقال تعالى (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميَّةَ حميَّةَ الجاهليَّة) (الفتح 26)، وذمَّ الرَّجل العصبيَّ فقد جاء في الحديث: «العصبيُّ من يعين قومه على الظُّلم». وجاء فيه أيضاً: «ليس منَّا من دعا إلى عصبيَّةٍ أو قاتل عصبيَّةً» . وعلى نهج النبيّ سار الخلفاء الراشدون فقدَّموا من قدَّمه الإسلام، وأخَّروا من أخَّره، وإن كان من أشراف قومه في الجاهلية، وأعطوا النَّاس أُعطياتهم بناء على سابقتهم في الإسلام، لا على أنسابهم. وكان من المظاهر الحسنة للعصبية القبلية ما كان من تنافسٍ بين الأوس والخزرج في نصرة الإسلام، فلا يصنع الأوس شيئاً إلا صنع الخزرج صنيعهم، ومنه ما كان من تنافسٍ القبائل في البلاء الحسن أيام الفتوح. على أن ذلك كلَّه لم يمنع بعض المظاهر السيئة للعصبية أن تظهر من خلال فعل أو قول يؤكد تمكُّن العصبية من نفوسهم، ولا يعدم المتتبع لأخبار العرب بعد الإسلام الوقوف على شيء من ذلك، ففي بعض الحوادث قال رأس المنافقين عبد الله بن أُبَيّ يحرض الأنصار على المهاجرين: «قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمِّن كلبك يأكلْك». ولما توفي النبي ظهرت النزعة القبلية في عدد من المواقف بدءاً بسقيفة بني ساعدة، ثم إنها عادت للظهور بعد مقتل عثمان، وبرزت العصبية للتجمعات القبلية الكبيرة حين انقسم المسلمون إلى جيشين كبيرين يقتتلان، أحدهما إلى جانب عليّ والآخر إلى جانب معاوية، وكان في الجيشين قبائل من نزار المُضريَّة في صفِّ عليٍّ وقحطان اليمانيَّة في صف معاوية:

ثم إن العصبية القبلية في بعض البلدان المفتوحة كالأندلس كانت سبباً في وقوع الفتن بين الكتل القبلية الكبيرة، ولاسيما في القرن الثاني الهجري، إذ تخلى المتعصبون عن وحدة المعتقد والمبادئ، ورجحوا عليها وحدة النسب والمصالح.

واشتدَّ أوار هذه النزعة في العصر الأموي، إذ كانت خطورتها في أنها صارت تضم الكتل القبلية الضخمة، فكانت فيه وقائع كثيرة بين قبائل قيس عيلان وقبائل اليمن في الشام بعد وقعة مرج راهط التي مال فيها القيسيون إلى عبد الله بن الزبير، ومال اليمنيون إلى بني أمية، وكذلك الوقائع التي كانت في الجزيرة الشَّامية بين قيس وتغلب،

تميز عصر الخلفاء الراشدين بعدة أمور ومنها ما يلي:

- كان يتم انتخاب الخليفة من قبل مجلس حكماء يسمى مجلس الشورى.

- حماية المواطنين غير المسلمين الذين يعيشون داخل حدود المسلمين مقابل دفع ضريبة الجزية.

- كان الخلفاء مسؤولين عن اعتماد التقويم الإسلامي، الذي يرجع تاريخه إلى هجرة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- من مكة إلى المدينة المنورة، وإنشاء قراءة موثوقة للقرآن مما عزز المجتمع المسلم وشجع البحث الديني.

- لقد حكموا أراضي الإسلام بصفتهم نوابًا للنبي محمد -عليه السلام-، ووضعت سياساتهم أسسًا لأسلوب الحكم للعديد من الحكام المستقبليين.

- حصلت مجموعة من الابتكارات مثل الحكومة المركزية، ومؤسسات الإدارة، ومشاريع الرفاهية العامة، وحماية حقوق المواطنين، والاستعداد العام لمساعدة الناس، مما جعلتها تحظى بشعبية كبيرة في التاريخ العربي.

تطور المفهوم السياسي للجماعة خلال القرن الهجري الأول، ولم يكن لهذا المفهوم الصورة الواضحة والجذور المتأصلة؛ وإنما هي حركة التاريخ التي أعطته صفاته، وجذرته كمذهب له رؤيته الفقهية والفكرية والسياسية. واستخدم مفهوم الجماعة كغطاء للشرعية ، استنادا إلى ما ورد في القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى التزام الجماعة، ونبذ الفرقة. وقد اتضح ذلك في السقيفة عندما قال أبو بكر: "أما بعد يا معشر الأنصار فإنكم لا تذكرون منكم فضلا إلاّ وأنتم له أهل، وإن العرب لا تعرف الأمر إلا لهذا الحي من قريش وهم أوسط العرب دارا ونسبا..." . قدم أبو بكر نفسه على أنه متبع وليس بمبتدع، "فإن استقمت فتابعوني وأن زغت فقومني". فمفهوم الجماعة الأولى في السقيفة أكد فكرة الجماعة النخبة من الأنصار والمهاجرين، ونتائج السقيفة تؤكد "نخبة النخبة" وهم المهاجرون. روى الشيخان البخاري ومسلم وأيضا النسائي عن سعد بن أبي وقّاص , انه قال : ما سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنّه من أهل الجنّة إلاّ لعبد الله بن سلاّم.

ومن الملاحظ أن أبو بكر وعمر لم يستندا على حديث العشرة المبشرين في الجنة لبيان فضلهم واستحقاق القرشيين بالخلافة. إلا أن عمر بن الخطاب استند اليه في تسمية أعضاء الشورى. فمثلت شورى عمر تأكيدا آخر لقرشية الدولة وبالتالي قرشية الجماعة النخبة "الستة المبشرين" بالجنة .

و كانت نتيجتها وصول عثمان بن عفان إلى رأس السلطة؛ إلاّ أنها حملت بوادر انشقاق في الجماعة ورغبة داخلية لدى الستة في رأس الجماعة. فكانت سياسة عثمان قد عملت على تجذير الانقسام داخل الجماعة ووجود معارضة قوية له، فكانت سياسته ملكية وعائلية في الوقت ذاته، مما عمل على وضع البيت الأموي في المقام الأول. . فقد اعتمد عثمان بدرجة كبيرة على عماله الأربعة الأساسيين وهم: معاوية بن أبي سفيان عامله على الشام، وعبد الله بن أبي السرح عامله

على مصر وإفريقيا، وابن عامر عامله على البصرة، وسعيد بن العاص عامله على الكوفة، ولا ينتمي هؤلاء فقط إلى عائلة عثمان بل كانوا أقرب المقربين له، والممسكين بزمام السلطة الفعلية ومراكز القوى والنفوذ داخل الدولة.

العصر الأموي

معاوية ابن أبي سفيان

ولد معاوية بمكة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة وكان سنه يوم الفتح 23 سنة. اختلف الأوائل في صحة حديث الرسول (ص) فيما يخص أهل مكة حينذاك. روي الحديث على عدة نصوص منها:

ورد في "سيرة ابن هشام" (2/ 412) : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ... إلى أن قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ.

وروى الإمام أحمد (19215) عَنْ جَرِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (وصححه محققو المسند. قال في "النهاية" (3/ 136): " الطلقاءُ: همُ الَّذين خَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ فَتْح مَكَّةَ ، وأَطْلَقَهُم ، فَلَمْ يَسْتَرِقَّهم.

فكان معاوية من الطلقاء المؤلفة قلوبهم حيث وهبه الرسول (ص) مئة بعير بعد غزوة حنين، ثم حسن إسلامه. كان معاوية رجلا طويلا أبيض جميلاً مهيباً ،وكان عمر بن الخطاب ينظر إليه فيقول: هذا كسرى العرب .

بعد العهد الذي ابرمه معاوية مع الحسن بن علي بن أبي طالب بايعه المسلمون سنة 41 هـ، فسميّ ذاك العام بعام الجماعة، لاجتماع كلمة المسلمين فيه وأصبح معاوية بن ابي سفيان خليفة جميع المسلمين وأتخذ من دمشق عاصمة ومقراً للخلافة الأموية والدولة الإسلامية وعمل في فترة خلافتهِ على توحيد البلاد الإسلامية وتقوية أواصر الدولة, وهو مؤسس لأكبر دولة إسلامية في التاريخ، وهي الدولة الاموية.

أعماله في خلافة أبو بكر

تولى قيادة جيش امداد لأخيه يزيد بن أبي سفيان في خلافة أبو بكر، وتولى ولاية الأردن في الشام سنة 21هـ في عهد عمر بن الخطاب. وبعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان من طاعون عمواس، ولاه عمر ولاية دمشق وما يتبع لها من البلاد ، ثم جمع له الخليفة عثمان بن عفان على ولاية الشام كلها.

الفتوحات الإسلامية في عهده

بعد قيام الدولة الاموية وعاصمتها دمشق وتولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة وتقوية الدولة الإسلامية استأنف الفتوحات الإسلامية . ففي عهد معاوية بن أبي سفيان اتسعت رقعة بلاد المسلمين جهة بلاد الروم، وبلاد السند ، وكابل ، والأهواز ، وبلاد ما وراء النهر، وشمال أفريقيا. وقد أنشأ معاوية أول أسطول حربي في تاريخ الإسلام وفتح به جزيرة قبرص وصقلية ومناطق وجزر في البحر الأبيض المتوسط.

حينما شعر معاوية بدنو الأجل، عمد إلى ضمان تمرير الخلافة إلى ولده يزيد في حياته عن طريق دعوة نخبة الدولة الأموية ومطالبتهم بالقبول بولاية يزيد في مقابل ضمان امتيازاتهم في الحكم والإدارة والاقتصاد. وهو ما تحقق بالفعل حينما توفى معاوية. كانت هذه المرة الأولى في تاريخ الدولة الإسلامية التي يتم فيها إلغاء مبدأ الشورى رسميا ويتم استبداله بمبدأ الوراثة. تحولت الدولة الإسلامية من مرحلة الخلافة الراشدة إلى مرحلة الملكية المطلقة.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: واتفق العلماء أن معاوية أفضل ملوك هذه الامة, فان الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة وهو اول الملوك, كان ملكه ملكاً و رحمة (الفتاوى 47/4) وقال الذهبي: معاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم .لقد حاول أهل السنة في كل كتاباتهم الدفاع عن معاوية وإظهار الجوانب الإيجابية والإعراض عن الجوانب السلبية. ولكون إعلان اسلامه جاء بعد فتح مكة، فقد حاولوا التبرير بأنه كان مسلما في الخفاء قبل ذلك، وأنه صاحب النبي (ص) بعد إسلامه وأنه أصبح من كتاب الوحي. ولكن الوقائع لا تؤيد ما ذهبوا اليه.

لقد فتح النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مكّة سنة ثمانيةٍ للهجرة، ثمّ حصل بعدها بوقتٍ قصيرٍ غزوة حنين، ثمّ غزوة الطائف، ثمّ وقعت غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة، والتي كانت آخر غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. ولم يكن معاوية مصاحبا للنبي (ص). وهل كان معاوية من كتبة الوحي علما أن السور التي نزلت بعد فتح مكة وإسلام معاوية هي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، والناس، وكلها من السور القصيرة التي لا تحتاج الى زيادة عدد كتاب الوحي!

التدوين:

تعتبر حركة التعريب من أهم التطوُّرات التي هيأت للنهضة العلمية، ففي عهد عبد الملك بن مروان، جعل من اللغة العربية لغة رسمية للدولة. لكن الأمويين لم يَميلوا إلى دعم العلوم، فلم يَدعمَ خلفاؤهم أو أمراؤهم سوى الحركتين الأدبية والقصصية من بين كل هذه الحركات العلمية، فلم يَكن يُمتعهم ويجذبهم سوى الشعر والخطب والقصص، وربَّما كان ذلك بسبب نزعة عربية جاهلية عندهم. كان جلُّ من برعوا في العلوم خلال العصر الأمويّ - مثله في ذلك مثل العصر العباسي - من الموالي الأعاجم، إذ كان العرب في تلك الفترة لا يَزالون أهل بادية وانشغل

معظمهم بالفتوحات، وأما الموالي فقد كانوا قادمين من بلاد أكثر حضارة، وذلك ما جعلهم أكثر قابلية لحمل العلوم وممارستها من العرب، حسبَ ما رواه المؤرخ ابن خلدون. حتى أنه يُروى في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه. لكن معظم ما كُتبَ وترجمَ وألف في العصر الأموي فُقدَ الآن ولم يصل منه إلى الوقت الحاضر سوى القليل جداً.

تمركزت مقارُّ الحركة العلمية الدينية خلال العصر الأمويّ بشكل أساسي في المساجد، وبعدها أنشت المكاتب لتحفيظ الصّبيان الصغار القرآن وتعليمهم مبادئ الدين. ألف خلال العهد الأموي عددٌ من الكتب في علم التفسير، ومن أبرز من عرفوا في هذا العلم وكتبوا عنه في هذه الفترة مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس ،وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، غير أن جميعَ مؤلفاتهم ضاعت .

ومن أبرز المحدثين في العصر الأموي محمد بن مسلم الزهري، وابن إسحاق ،وسفيان الثوري، ومحمد بن راشد اليمنيّ، وابن جريج المكي، ومالك بن أنس. لكن على الرُّغم من ذلك فإن عصر المحدثين الأساسيّ الذي تحرَّى فيه العلماء الأحاديث وصنّفوها ووثقوها حسبَ صحتها لم يأتي حتى القرن الثالث الهجري. كما ولدَ اثنان من الأئمة الأربعة وعاشا خلال العصر الأموي، وهما أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس، صاحبي المذهبين الحنفيّ والمالكيّ، وقد انتشر المذهب الأوّل خلال العصر الأموي في مصر والعراق وفارس ووسط آسيا، فيما انتشر الآخر في مصر والمغرب العربي. وقد عاشَ أيضاً خلال هذه الحقبة فقيهان كبيران آخران، هُما الأوزاعي - إمام الشام - والليث بن سعد - إمام مصر، وقد كان لكيلهما مذهبان فقهيَّان، غير أن مذهبيهما اندثرا لعدم وجود تلاميذ لهما ينشرون المذهبين.

الإسلام السياسي

فسَّر معظم المفسرين قوله تعالى في الآية 104 و105 من سورة البقرة: {ولتكن منكم أمة} : فئة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، {وأولئك هم المفلحون}، هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة، . وقوله تعالى: {يوم تبيض وجوه وتسود وجوه}: يعني يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسوَدُّ وجوه أهل البدعة والفرقة. وبنفس التفسير والتأويل يروي معاوية حديثا، قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة: اللّهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد" ويروى أن معاوية كان يحث واليه على الكوفة المغيرة بن شعبة الثقفي على رواية هذا الحديث على منبر مسجد الكوفة يوم الجمعة، فالله هو المعطي للأمويين والمانع عن سواهم . وبذلك فالمعارض للحكم الأموي إنما يعارض قدر الله، وإذا أراد الله أن يعطي غير الأمويين كان أمره، وذلك ما كان. وفي حديث آخر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية". وهذا الحديث مكون أساسي لشرعية الحكم ومسوغ استمر جدله حتى

اليوم حول الطاعة المطلقة لولي الأمر، حتى ذهبوا فيما بعد بالموافقة عليه والركون لحكمه حتى وإن كان فاجرا.

إن الانقسام الذي أصاب الجماعة الإسلامية هو انقسام سلطوي بشري بالضرورة لبس لبوسا دينيا؛ عبر عن حالة طبيعية للاجتماع البشري الذي سمته الأساسية الاختلاف . إلاّ أن العقل الجمعي لم يحتمل مثل هذا الاختلاف ولم يعترف به، ليعاد تشكيلنا بصورة تعيدنا إلى المربع الأول الذي انطلقت منه تلك الجماعات بادعائها تمثيل الحق وكل من خالفها فهو على باطل. فالمعادلة التي وضعها معاوية في ولاية العهد كانت على درجة عالية من الاستحكام، إذ إنها قرنت بين مبدأ الجماعة والولاية على نحو لا انفصام له، مما يعني أن كل خروج على الثانية خروج على الأولى وبالتالي العودة إلى إذكاء نار الفتنة والصراع بالسيوف والقبائل.

الخلاصة: في العقيدة و العصبية القبلية والجماعة والسنة

- اعتمدت في دراساتي على ما جاء في كتب أهل السنة على اعتبار أن المصادر الأخرى قد تعرض أخباراً متحيزة تتعارض مع تراث اهل السنة.

- كانت هناك في عهد الرسول (ص) أخبار وقصص متداولة بين الناس عن الأمم السابقة، وكانت هذه القصص بالنسبة لمن عاصروا فترة الوحي من الغيبيات، فجاء التنزيل الحكيم يوضح الحقائق ويصحح المفاهيم. وبالنسبة لنا في هذا العصر، فإن تاريخ وأنباء العصور بعد اكتمال التنزيل الحكيم، هي من الغيبيات. وحيث لا ننتظر نبيا ولا رسولا ولا وحياً يوضح لنا حقيقة ما حصل، وحيث أن الكتابة لم تكن متطورة بالخط والتشكيل. وحيث أإن معظم ما تم تدوينه في عصر الخلفاء الراشدين وفي العصر الأموي قد ضاع ولم يصل لمن بعدهم، فالذين كتبوا لاحقا عن هذه الأخبار لم يعاصروها واعتمدوا على الروايات التي كانت متضاربة في كثير من الأحيان، فإنها تحتمل الخطأ والصواب واحتمال تأويل الأحداث بما يتلاءم مع انتماء الكتاب وموالاتهم للحكام في عصرهم. فليس علينا حاليا سوى استعمال العقل ومقارنة المصادر مع بعضها والوصول إلى استنتاجات قد تحتمل الصواب والخطأ أيضاً.

- كان المجتمع العربي في الجاهلية مجتمعاً قبليّاً في البوادي والحواضر تحكمه القوانين والأعراف التي تضمن للقبيلة بقاءها، ولذلك شاعت بينهم العصبية بالمعنى الذي يحمله المثل الجاهلي «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"،

- وقف الإسلام من العصبية موقفاً معادياً، ودعا إلى تركها، وذم الحميَّة القائمة على أساس قبلي، فقال تعالى (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميَّةَ حميَّةَ الجاهليَّة).

- في عصر النبي (ص) تم ترسيخ مبدأ المساواة وان مقياس فضل انسان على آخر هو التقوى كما في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" الحجرات 13.((

- وعنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ).

- ترسخ مفهوم أحقية القرشيين في الخلافة نتيجة المباحثات في السقيفة ومن ثم بتعيين عمر بن الخطاب للستة الحياء من المبشرين في الجنة كمجلس شورى لاختيار واحد منهم.

- اختص الخليفة عثمان بن عفان بني أمية من بين القرشيين بالأولوية في تعيين الولاة على الأمصار والمراكز الحساسة وفي ممتلكات الدولة مما أدى على الفتنة.

- قام علي بن أبي طالب بإعادة توزيع المناصب على أساس الأولوية في الإسلام، وأعاد الممتلكات لملكية بيت مال المسلمين. مما أدى إلى زيادة التعصب القبلي .

- وبناء عليه، وكما يذكر ابن خلدون في مقدمته: " اندلع صراع عنيف بين المثالية(علي بن ابي طالب) فاهتم أنصاره لاحقا بجمع الاحاديث، والواقعية (معاوية) حيث انغمس الحكام الأمويون وأنصارهم في أمور السياسة بالكامل

- بعد العهد الذي ابرمه معاوية مع الحسن بن علي بن أبي طالب بايعه المسلمون سنة 41 هـ، فسميّ ذاك العام بعام الجماعة، لاجتماع كلمة المسلمين فيه وأصبح معاوية بن ابي سفيان خليفة جميع المسلمين. فبالإضافة إلى أنه قرشي أموي قوي، استند على أقوال بعض الفقهاء بالجبرية وعلى بعض رواة الحديث من أن الله قدَّر منذ الأزل أن الولاية لبني امية. كما اعتبر أن اجماع المسلمين على مبايعته هو أساس شرعي للحكم. وبذلك تأسس مفهوم الجماعة.

- من مفهوم الجماعة، قام معاوية بأخذ البيعة لابنه يزيد من ذوي النفوذ، واسس للملكية والوراثة في الحكم.

- تأصل مفهوم الملكية المطلقة عند بقية ملوك بني أمية، وعندما حاول معاوية الثاني بن يزيد أن يعيد الأمور إلى نصابها الأصلي باعتماد الشورى كطريقة لاختيار ولي الأمر، لم يدم حكمه أكثر من شهرين، ومات مسموماً (والله أعلم) وكان عمره 21 سنة. وكذلك حصل مع الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز الذي تميزت خلافته بعدد من المميزات، منها: العدلُ والمساواة، وردُّ المظالم التي كان أسلافه من بني أمية قد ارتكبوها، وعزلُ جميع الولاة الظالمين ومعاقبتُهم. ومما قاله في خطبة توليه الخلافة: (وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها (ص)، ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً.) . لم يَرُق ذلك لوجهاء بني أمية فمات مسموماً (والله أعلم) ودامت خلافته سنتين وخمسة أشهر .

العصر العباسي

في العام 127هـ/744م، وبينما كانت الدولة الأموية تعيش أيامها الأخيرة بعد أن أثخنت جراحها الثورات المتعاقبة في سوريا والأردن وحمص وشمال العراق، استضافت مكة المكرمة مؤتمرًا عقدته أفرع متشعبة من الهاشميين شملت العباسيين (أحفاد العباس) والعلويين (أحفاد علي بن أبي طالب) والجعفريين (أحفاد جعفر بن أبي طالب) والعقيليين (أحفاد عقيل بن أبي طالب)، وذلك لبحث كيفية استغلال حالة أعدائهم المُزرية لتحقيق الحلم الذي طال انتظاره لإعادة الحُكم إلى آل بيت الرسول. مثّل العباسيوين في هذا المؤتمر أبو العباس عبد الله السفاح (أول الخلفاء) وأخوه لأبيه أبو جعفر المنصور (ثاني الخلفاء). أما العلويون من نسل الحسن فناب عنهم عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وابناه محمد النفس الزكية وإبراهيم، أما من نسل الحسين فحضر منهم جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وكان من جملة القرارات أن تكون الدعوة ضد الأمويين «هاشمية» لا علوية ولا عباسية يكون شعارها «الرضا من آل البيت»، وأنها إذا أتت بثمارها وقضت على الأعداء، فإن الخلافة تكون من نصيب محمد النفس الزكية.

وفيما بعد، وضع الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور جُل اهتمامه على تصفية أي خطر محتمل قد يصدر من زعيم العلويين محمد النفس الزكية (الذي بايعه أبو جعفر قديمًا في مؤتمر مكة) وأخيه إبراهيم اللذين تواريا عن الأنظار، فقاد حملة شعواء لإيجادهما لكنه فشل.

من هو الوارث الأقوى؟ ابن البنت أم ابن العم؟

العباسيون يحتجون بشرف جدهم ويلمزون الطالبيين بكُفر أبي طالب، وبعدم صحة الميراث من النساء. أما العلويون فيرون أنهم الأحق بموجب النسب لفاطمة. فكان جواب أبو جعفر المنصور في نقاشه مع محمد النفس الزكية أن أولاد البنت ليس لهم شيء من جدهم أبي أمهم ما دام له وارث من العصبة. وحيث كان العباس عم النبي (ص) حيا، فهو من العصبة ، وعليه لا يحق لفاطمة أو أبنائها وراثة النبي (ص). وبين الاثنين أخذ الكلام يروح ويجئ بلا نهاية للخلاف، حتى حسمه العباسيون بسيوفهم وقطعوا رأس النفس الزكية فأسكتوه إلى الأبد .

كانت الدولة العباسية امبراطورية مترامية الأطراف، وكانت تضم شعوبا لها حضارات قديمة وتضم الكثير من الملل:

-بدأ في العصر العباسي ترجمة الفلسفات الإغريقية والتعرف على ثقافات الأمم الأخرى وخاصة الفارسية والزرادشتية وظهرت كتب مسيحية ويهودية باللغة العربية. وازداد التفاعل بين المسلمين العرب وغيرهم من الملل وخاصة المسيحية، وأصبح للمسلمين غير العرب دور كبير في صياغة الفكر والثقافة .

-ورث العباسيون من الدولة الأموية دولة واسعة الأطراف؛ امتدت حُدودها من أطراف الصين شرقاً حتى جنوب فرنسا غرباً، وتمكنت من فتح إفريقية والمغرب والأندلُس وجنوب الغال والسند وما وراء النهر.

-شهد العصر العباسي ازدهاراً في الحركة الاقتصاديّة للدولة، نتيجة لموارد الزكاة، والخراج، والجزية، وأخماس المعدن، ورسوم التجارة الخارجيّة وغيرها. ساعدت هذه الموارد على سدّ نفقات المجالات العسكريّة والأمنيّة، والبناء، والتعمير، وإنشاء المدن.

-تطوّر التعليم في العصر العباسي تطوّراً لا مثيل له، حيث ظهر في هذا العصر التخصّصات المختلفة، والترجمة، والإبداع، كما تألّق العقل الإسلاميّ المعرفيّ في العصر العباسيّ الأوّل، وازدهرت علوم الفقه الإسلامي، وعلوم القرآن، والعلوم العربيّة والإنسانيّة، والعلوم الأخرى كالطب، والفلك، والفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والنباتات، والعقاقير، والأدوية وغيرها. وظهر في هذا العصر المدارس العلميّة، وأُنشئت الجامعات، ومجالس العلم، والمكتبات. وفيها تم ترجمة كتب كثيرة في الرياضيات والفلك والطب والفلسفة الإغريقية من اللغة اليونانية والفارسية والسريانية إلى اللغة العربية. حدثت حركة الترجمة في بغداد منذ أواسط القرن الثامن إلى أواخر القرن العاشر الميلادي. وخلال حكم الخليفة الخامس، هارون الرشيد، تأسس بيت الحكمة ليكون مكتبة للعديد من الكتب المترجمة. تحول بيت الحكمة فيما بعد إلى مركز للترجمة .

الحركة الفكرية في العصر العباسي

قاموا بترجمة الكتاب المقدس. وترجمت عن اليونانية "حِكم سقراط وأفلاطون وأرسطو، وعن الفارسية، ترجم كتاب "كليلة ودمنة" وكتاب ألف ليلة وليلة التي يظهر في بعضها أثر أفكار الهنود في الأرواح وتناسخها.

وظهرت كتب الأدب العربي مثل عيون الأخبار لابن قتيبة، والبيان والتبيين للجاحظ.، تاريخ الرسل والأمم والملوك للطبري (ت 310 هـ)، وكتابا "مروج الذهب "- "والتنبيه والأشراف " للمسعودى (ت 346 هـ)، وكتب المسالك والممالك، وكتاب " الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني(ت 355هـ) "، و ظهرت المذاهب الفقهية في عصر الدولة العباسية، واحتلت بغداد مكان الصدارة لهذه الدراسات الفقهية، وظهرت عدة اتجاهات فقهية، فهناك المتمسك بالرأي، كأبي حنيفة"، وهناك المتمسك بالنصوص "كابن حنبل "، وهناك من لاءم بينهما واتخذ مذهباً وسطاً "كالشافعي."

وبعد أن فشا اللحن في كلام المسلمين، نتيجة لاختلاطهم بالأعاجم في البلاد المفتوحة. قام هؤلاء العلماء بجمع وتدوين ألفاظ اللغة العربية وأشعارها من منابعها الصافية في نجد بقلب الجزيرة العربية. كذلك وضعوا قواعد نحوية للغة العربية، وابتكروا النقط والشكل على الحروف لمعرفة

نطق الكلمات نطقاً سليماً، ولا سيما القرآن الكريم، حتى لا يتعرض للتحريف. هذا إلى جانب تصنيف المعاجم اللغوية، ووضع علم العروض لمعرفة أوزان الشعر وأحكامه وبحوره. ومن أشهر الرواد الذين حققوا هذه الابتكارات العلمية مع بداية العصر العباسي العالم البصري العربي، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ/ا 79 م) "، وتلميذه العالم الفارسي "أبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه (ت 177 هـ/793 م) ". ولم تلبث العاصمة بغداد أن شاركت في هذه النهضة العلمية، حيث انتقل إليها عدد من علماء الكوفة والبصرة أمثال " أبي حنيفة" و"، المفضل الضبي " و"الكسائي "الفراء "، و"ابن السكيت "، بحيث صارت بغداد مسرحاً لمناظرات علمية حامية الوطيس بين أشهر علماء العصر. كذلك ازدهرت الموسيقى وتطورت آلاتها ولا سيما في مدينة بغداد التي صار لها مركز الصدارة والشهرة في هذا الفن.

كافة التغيرات السابقة أثرت بشكل كبير على دور الأمة السياسي، فبعد أن كانت تعبر بمنتهى الحرية في العهدين النبوي و الراشدي عن آرائها، باتت تلك الحرية مقيدة في العصر الأموي، و افتقدت الأمة حقها في اختيار قيادتها السياسية. واستمر الحال على هذا المنوال في العصر العباسي.